

شلايرماخر وتأسيس فلسفة الدين بوصفها تجربة شعورية

م.د مروه عبد فهد

جامعة واسط-كلية الآداب- قسم الفلسفة

marwa.fahd@uowasit.edu.iq

الملخص :

كلمات مفتاحية: النقد، الشعور، أحياء الدين ،
التجربة الدينية ، اللاهوت، الحدس .

Schleiermacher and the establishment of the philosophy of religion as a conscious experience

Abstract

Concepts in research: A philosophy suitable for use in continuing to examine the phenomena of religion and reviving religious experience, in light of the period in which the philosopher of religion lived and the philosophical influences that formed his philosophical fabric. Schleiermacher is considered the most prominent philosopher of religion, and then religion is its essence in that period, against which the intellectual of religion is targeted. This is what helps the

نحاول في البحث توضيح فلسفة الدين بوصفها محاولة فلسفية لإعادة النظر في طبيعة الدين وأحياء للتجربة الدينية، في ظل الفترة التي عاشها الفيلسوف والمؤثرات الفلسفية التي كونت نسيجه الفلسفي الديني، فشلايرماخر يعد ابرز فيلسوف أعاد للدين جوهره في تلك الفترة ضد محترقي الدين من المثقفين وهذا ما ساعد الفيلسوف على نشر كتابه(عن الدين خطابات لمحتقره من المثقفين) الذي دافع فيه عن الدين وجوهرية الدين ضد عقلانية التنوير فكان عبارة عن خطابات يهاجم فيها المثقفين، وكان أول محاولاته التي أنتصر فيها للدين ضد أولئك الذين قللوا من شأن الدين بسبب عقليتهم المجردة، مانريد طرحه في البحث هو الغوص في تصور شلايرماخر للدين، وتنقيته مماعلق به من عصر التنوير .

الدينية وعلاقتها بالبعد، وخلال فترة النزاع هذا برز شلايرماخر كفيلسوف، لاهوتي، بروتستانتي، مصلح لحقيقة الدين وفهمه وتفسيره، وتأثره بطبيعة المناخ الفكري السائد في عصره، وبالاتجاهات الفلسفية التي رافقت الرومانسية وهذا ما انعكس على طبيعة الأهتمام الديني، وهو ما ساعده على نقد الدين وفهمه، وطبيعة التحول التي شهدها مفهوم الدين خلال عصره.

تنبع أهمية البحث لما لهذا المشروع الفلسفي من أهمية كبيرة وتحول في الفلسفة الدينية، ولما له من علاقة بالتحويلات اللاهوتية في عصر الفيلسوف، وبيان أثر هذه التحويلات في رؤيته للدين والتجربة الدينية، كما يسعى البحث إلى الكشف عن الأساس الفلسفي الذي قام عليه تصويره للدين.

عموماً أن المسألة التي ننوي أثارها في هذا البحث، لا تقتصر، على نقد الفيلسوف لطبيعة عصره ولطبيعة شكلانية الدين، فصحيح أن العصر الذي ساد فيه عرف بعصر النقد وهذا ما جعل الدين موضع سؤال، ووضع حد فاصل بين التجربة الدينية والعلمية، إلا أن مانريد التنبيه عليه أكثر، أن مشروع شلايرماخر الفيلسوف الديني هو إعادة أحياء الدين على ضوء التجربة الدينية الشعورية، وليس نقد أو إلغاء للأفكار الدينية في عصره بل تعد هذه الأفكار العقائدية

philosopher to publish his book (On Religion Against Its Burners), in which he is about religion and the essence of religion against the rationality of the Enlightenment. He is about the words in which he attacks intellectuals, and his first goal was to defend religion against the officials who belittled religion because of their abstract mentality. What we want to present in the research is what delves into Schleiermacher's conception of religion, and purifying it from what was attached to it from the Enlightenment era.

Keywords: criticism, feeling, revival of religion, religious experience, theology, intuition.

المقدمة :

تعرض الدين بعد ما سادت النزعة العقلانية في الفكر الغربي الحديث خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر، إلى عدة جوانب من النقد الفلسفي والتي سعت إلى أبعاد الدين عن جوهره الحقيقي وأخضاعه للعقل والمنطق، الأمر الذي انعكس على طبيعة الدين، بحيث أصبحت موضوعاته وقضاياها، موضعاً للتساؤل، فتعددت الاجابات التي فسرت الدين أما ضمن أطر عقلية أو أخلاقية، وهذا مما تمثل في أشكالية فهم التجربة

اللاهوت في جامعة برلين) كوبلستون، ٢٠١٦، مج ٧، ص ١٩٨) في الحقيقة اعجابه باسبينوزا قادة إلى أن يواجه التوفيق بين الفلسفة والدين الذي كان عليه أن يدرسه، وهذا لم يرضي ضميره بوصفه كاهناً بروتستانتيّاً، فهو كان رجل متدين ومحتفظ بتقواه لأسرته ومعلميه الأوائل، لذلك كان عليه أن يفكر في الأطار العقلي للوعي الديني كما يتصوره، أن تضلعه بين الفلسفة واللاهوت اتاح له أن ينتهج سبيلاً من التفكير الفلسفي في ماهية الدين، أن الفيلسوف ربيب عصره، وأفكاره ومعتقداته إنما هي نتيجة ما مر به من ظروف وأحوال .

وفي الحقيقة أن شلايرماخر يعبر عن صدى شعوره بالعرفان تجاه الثقافة الدينية الأولى ويربطه بطفولته الدينية التي يعبر عنها بأنها (ثدي الأمومة في الظلمة المقدسة، الذي تغذت منه طفولتي الأولى، والذي هيأني للدخول إلى عالم كان مازال مغلقاً أمامي، عبره ومنه تنفس عقلي قبل أن يجد خارجه أشياء أخرى: التجربة والعلم، أنه هو ما أعانني عندما بدأت أغربل ديني الأبوي وأطهر قلبي من بقايا الماضي، وهو الذي بقي لي حين اختفى هرب الله والخلود من أمام عيني المملوءتين بنظرات الشك، وهو الذي علمني أن لا انظر إلى نفسي على أنني قديس، مع فضائي وعيوي في هذا الكائن الذي لا ينقسم والذي هو أنا، وبه وحده عرفت

العقلانية لاحقة على تصور وفكرة الفيلسوف الدينية.

لذا أقتضى أن تكون موضوعات البحث هي :

شخصية شلايرماخر وثقافته الدينية .

التأسيس الشعوري للدين .

أزمة الوعي الديني وتحولات فهم الدين.

هل الشعور كافٍ للدين .

أنقاذ الدين أم أعاده صياغته.

شخصية شلايرماخر وثقافته الدينية :

يعد شلايرماخر أحد فلاسفة القرن التاسع عشر (١٧٦٨-١٨٣٤) تكونت ثقافته الدينية من خلال نشأته في بيئة بروتستانتية متدينة محافظة وتلقى تعليماً صارماً داخل أسرة متأثرة بالاخوة المورافيين الذين عرفوا بتشددهم الديني وأهتمامهم العميق بالحياة الروحية، أذ أرسله والده وهو بعمر ١٥ (عام إلى مدرسة المورافيين لغرض دراسة الدين واللاهوت هناك)، (محمد، ٢٠١٧، ص ٤) وبدلاً من أن يبقى على دراسة النظريات المسيحية الأساسية، ألتحق بجامعة (هال) لدراسة اللاهوت والفلسفة وأطلع على تراث عصره رغم أنه أنشغل خلال سنينه الأولى بدراسة اسبينوزا وكانط أكثر من أنشغاله بالموضوعات اللاهوتية الخالصة، وحضر بعدها دروسه الأولى في هيرمنوطيقا الكتاب المقدس، أملاً من خلال هذا أن يعين أستاذاً في كلية

الفلسفة فيورباخ الذي وقف موقفاً مضاداً من الدين، لكن شلاير ماخر أخذ موقف صريحاً من هاتين الفلسفتين، ليس من المهم أن يمثل النص الديني تعبيراً عن الروح المطلق (هيجل) ولا عن الاغتراب الإنساني (فيورباخ) بل المهم هو فهم هذا النص في ذاته (طلبة، ٢٠٠٦، ص ١٣٦) لذلك قوضت النصوص المقدسة ومنتج العصر مجتمع لايبالي بالنصوص المقدسة، في هذا السياق قدم شلاير ماخر كتابه المعنون (عن الدين خطابات لمحتقريه من المثقفين) ومهمته إعادة صياغة الدين مما التصق فيه، فهو عبارة عن مجموعة خطابات يهدف فيها إلى الدفاع عن الدين، ووجهه إلى تلك النخبة من المثقفين في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، مبيناً زعمهم الخاطئ وعدم فهم جوهر الدين، والنقد هنا ليس نقد للعصر وللفئتين فقط بل للمذهب الكاثوليكي الذي نقد الدين وهو السبب في وجود مجتمع رافض للدين، الكاثوليكية تتبع شكل الدين وليس جوهره، فهمها كان الامتيازات لرهbanها وتتدخل في شؤون الدولة وهذا لايمت لجوهر الدين، لذلت كانت هي الديانة المزيفة بنظر شلاير ماخر، مما أستدعى أن تكون البروتستانتية بديلاً عنها، والتي قدمت فهماً حقيقياً لجوهر الدين، وهو القائل: (ولعلي لا أجد ضيراً في أن أعترف أمامكم بأنني أنا أيضاً من حاملي ثقافة هذا

الصداء والحب) فطفولته الدينية المصدر الأول لتجربته الدينية والتي هي الملاذ الذي منحه الطمأنينة (غريش، ٢٠٢٠، ص ١٨٨) يبدو أن شلاير ماخر منذ هذه الطفولة الدينية أصبح الدين عنده شعور داخلي لا يمكن اختزاله في العقائد الطقوسية، خاصة وأنه تأثر بجماعة (الأخوة المورافيين) (المعروفين بأقدم طائفة بروتستانتية تدعو إلى الوحدة والتقوى)، والتي ركزت على الشعور الداخلي متجاوزة الطقوس الدينية الشكلية، لكن سرعان ما تمرد على تقاليد هذه المدرسة وللمذهب التقوي الذي يؤمن به والداه، وأتجه إلى قراءة الكتب التي يمنع المسلمين قراءتها، وبالأخص الفلسفية (الفلسفة اليونانية)، لكونه أنكر الطبيعة الإلهية للسيد المسيح وفكرته عن الخلاص، فكانت هذه الأفكار كفيلاً في أن يكون له خصوم منذ شبابه، لذلك ترك التعاليم المورافية (محمد، ٢٠١٧، ص ٤)

ولعل هذا الارث الديني هو مادفعه في شبابه إلى التمرد على الكنيسة وطرح الاسئلة الدينية الفلسفية والتي منها كيف نعرف الله؟ من هذه الاسئلة ولد مشروعه الفلسفي الديني

أن شلاير ماخر عاش في عصر أنتقد فيه الدين نقداً لازعاً لا بد أن نذكر العصر الذي عاش فيه، وأن فلسفة هيجل كانت هي السائدة في تلك الفترة ولها أثرها في الثقافة الدينية الألمانية، وكانت بالضد منها

العصر المنشدين لمنطقه المثالي القابع وراء ما أنتجه من
نصوص (شلاير ماخر ، ٢٠١٧ ، ص ٢٨)

أزمة الوعي الديني وتحولات فهم الدين

شهد عصر شلايرماخر تصاعد النقد الفلسفي واللاهوتي للدين ، الأمر الذي أدى إلى أخضاع الدين واللاهوت إلى نقد غير مسبوق ، وخاصة فيما يتعلق بنقد الأدلة الفلسفية على وجود الله وهذا ماتجلى في فلسفة هيوم- وكانط- وهو ما أدى إلى زعزعة الثقة بالأسس العقلية للدين ، وإلى جانب النقد الفلسفي ، نجد أيضاً أن الكتاب المقدس واجه انتقادات عدة بعد تعارض نصوصه مع ما جاءت به النظريات الحديثة ، وهذا ما أدى إلى أहतزاز السلطة الكنسية ، وعلى ضوء ذلك ظهرت آراء ترى أن الدين نتاج حاجات نفسية واجتماعية...ويمكن للإنسان التغلب عليها ، وهذا مادفع الفيلسوف إلى أدراك خطر هذه الآراء على الدين ومكانته لذلك حاول الدفاع عنه وأن يبحث عن أساس اخر للدين لايجده في العقل النظري وحده أو السلطة الكنسية ، بل على ضوء التجربة الحية (الشريف ، ٢٠١٩ ، ص ٢) ، يضع شلايرماخر الدين في رهانات العصر(الدين ليس فكرة خسرت رهانها في الوقت الحاضر ولم يتبقى لها غير الاستحواذ على الماضي القديم بدعوى أنه منزلها الحقيقي ، وإنما هي فكرة قادرة على الأنعطاف بنفسها نحو الجديد ، لأنها

لاترتابه أو تتجنبه ، الدين هو أفضل طرق الأتصال بالحياة) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ١٣٤) ، نظراً لما عرفه هذا الحاضر من أحتفاء للمتدينين التقليديين الذي بقي تدينهم حبيس الروحانيات التقليدية ، تدين كل ماهو دون النص الديني.

يبدو أن فلسفته الدينية جاءت استجابة لإزمة الدين في تلك الفترة الحديثة ، وفي سياق النقد هذا والفضاء الفكري قدم شلايرماخر كتابه عام ١٧٩٩ موجه ضد ابناء عصره من المثقفين ممن يحتقرون الدين ، وأن تلك الانتقادات أضعفت الثقة في البراهين اللاهوتية المقدمة للتدليل على وجود الله ، أي أن كتابه كان رد فعل ضد رجال الدين والفلاسفة الذين جردوا الدين من جوهره الحقيقي والذي يراه الفيلسوف يكمن وراء الشعور وليس الطقوس(لامناص من الأقرار بأنكم لاتعرفون شيئاً عن الدين ، وأنا لا أريد الوقوف بوجه ما تنافحون عنه وتتعصبون إليه في الأنجذاب للفلسفة...فقط دعونا نتعامل مع بعضنا البعض هنا بصدق وروية أنتم لاتحبون الدين وتأنفون مسه كتجربة ولو من بعيد...ولقد ترجمتم عدم محبتكم له بأسلوب قادكم لأن تتغنوا بخوضكم حرباً صادقة ضده ، وهي نزعة لايمكن وصفها بالفارغة من جهد استثنائي)(شلاير ماخر، ٢٠١٧ ، ص ٦٥) وبذلك يكشف الفيلسوف عن هدفه في الكتاب هو لصياغة واعادة فهم الدين (مهمتنا

هنا هي ترسيخ معنى الدين الدين وتخليصه مما التصق به) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٦٦).

في هذا الجانب نفهم أن مشروعه الديني هو لأنقاذ الدين من أزدراء المثقفين منه، وهو ما بينه برسالته إلى صديقه اللاهوتي (فردريش لوكه ١٧٩١-١٨٠٠) والتي شدد فيها الحاجة الى الدفاع عن الدين (هناك حاجة ملحة للدفاع عن الدين في وجه التهديدات التوأمين اللذين يتعرض لهما، أي العلوم الطبيعية الحديثة والدراسات الحديثة التاريخية واللغوية) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٥١).

ولا يخفى إذاً أن خطابه موجه ضد المتكلمين الذين سخروا من التجارب الدينية فنجد الفيلسوف يخاطبهم قائلاً: (أنكم تتعاطون مع اللحظة المعرفية والإيمان بالأفكار الدينية من منطلق كونها مشبوهة تثير الريبة، لقد فاتكم أن محاولة زحزحة الأحاساس والتجارب الدينية عما تحتله من مواقع فكرية وأجتماعية في حقل الوجود الإنساني أمر غير مسوغ، ومحض أزدراء رخيص) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٢٨). فهو يتأمل من هؤلاء أن يتخلوا عن احتقارهم للمسائل الدينية (أن أعظم احتقار يمكن توجيهه للدين هو محاولة زرعه في منطقة أخرى لاتنتهي إلى جوهره، وجعله في خدمتها....) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٥٣).

في الحقيقة أن المسائل التي في ضوءها كان الخلاف لدى اغلب المفكرين لم تكن دينية فقط بل كانت في جوهرها أقصاء للبعد الديني في الإنسان ذاته، وشلاير ماخر يفند الآراء ليثبت أن الدين ليس ظاهرة طارئة بل وجود انساني (اعريوه، ٢٠١٩، ص ٢) (أن ما يهمني هو تكريس فهم الدين بوصفه حاجة وجودية) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ١٩٢)

أن شلاير ماخر لم ينكر عصر التنوير بل أنتصر عليها في قلب المجال اللاهوتي، في عصر التنوير هنا فصل تام بين الإنسان والله، ثم أن شلاير ماخر لم يقل بوحدة الوجود الصوفية لكنه فسح المجال لمبدأ هوية الله في العالم عن طريق الشعور، هكذا قدم شلاير ماخر للمثقفين فلسفة تخلق فهما جديدا للدين، يقوم على أن كل لاهوت لابد أن يجيب بطريقة أو بأخرى على السؤال الذي يطرحه العقل الإنساني في كل مرحلة حضارية. (الخولي، ٢٠١٧، ص ١٠٦)

سعى شلاير ماخر إلى إعادة اعتبار الدين من الهيمنة التي سادت عصره، حيث رأى ان الفكر الحديث أنشغل بمفاهيم مجردة كالحرية والعدالة، من دون الرجوع إلى ماهية الإنسان، لذلك دعا إلى تأسيس وفهم ماهية الدين وجوهره على ماهية الإنسان، وأي خطاب يتجاوز هذه الفكرة فهو مزيف يشوه ماهية الإنسان

وابعادها عن الجوانب المقدسة. (زين الدين ، ٢٠٢٣ ، ص ١١)

يتوضح مما سبق ارتباط نقد شلاير ماخر لعصره بروح الاتجاه الرومانسي الذي برز كرد فعل ضد الافكار التنويرية ، الذي سعى إلى إعادة فهم الدين وإعادة اعتبار الإنسان من خلال التجربة الشعورية ، وهذا مايوضح تأثر الفيلسوف بهذا الاتجاه ، خاصة وأنه بدأ بأحياء الدين عن طريق صوره عدة كانت مستلهمة من أحساس عميق بالضياح الميتافيزيقي نتيجة العصر الماضي ، فالعالم في تلك المرحلة أتجه بعيدا عن الدين ، لكن حركة الرومانسية اعادت الأساس في ذهن الناس ، لكنهم اخفقوا في تحقيق ماكانوا يصبون اليه ، فعاد الكثير إلى اعتناق الكاثوليكية التي رفضها شلايرماخر لكونها لاتمثل جوهرية الدين بل حبست الدين ، وعلى هذا النحو أعاد شلاير ماخر البروتستانتية التي جسدت فكر لاهوت الشعور وتحديداً في كتابه الذي ألفه ، لذلك كان الفيلسوف نقطة تحول في نقده هذا (باومر ، ١٩٨٩ ص ٢٤-٢٦-٣) يتبين هنا أن البروتستانتية كانت الأقرب لجذور الأصلح وللعاطفة الدينية ، في الحقيقة عمل الفيلسوف على هذا التمييز بين مايسمية كنيسة مزيفة وكنيسة حقيقية ، وهذا لكي يفهم جوهر الدين ، لأنه يعتقد بعدم ثدرة الكنيسة المزيفة(الكاثوليكية) على فهم حقيقة الدين ، هو يعول

على الكنيسة الحقيقية(البروتستانتية) الأمر الذي يعكس أنتمائه الديني منذ مرحلة الشباب عندما انتمى إلى جماعة المورافيين الذين ينتمون الى البروتستانتية (محمد، ٢٠١٧ ، ص ١٣) أن الدين الحقيقي الذي نادت به البروتستانتية يتغلغل في الروح بتجليات تنضج الوعي الإنساني وتساعد على فهم جوهره ، الدين الذي يقصده مغمور في عمق الإنسان ومستبعد لكل ماهو زائف ، لذلك على الإنسان أن يكون ذو بصيرة شاملة حتى لا يكون معرض للنقد والاحتقار ، لذلك كانت خطابات شلايرماخر لأولئك الذين يحتقرون الدين وكل فرد متدين (محمد، ٢٠١٧ ، ص ١٥)

الدين بوصفه تجربة شعورية داخلية

ينتقل شلايرماخر في كتابه (عن الدين) ليوضح لنا ماهية الدين ، نظراً لما يحمله السؤال من أشكال وأهمية بالرد على محتقريه من المثقفين ، وعليه أن الأساس في السؤال ليس جعل الناس تتجه لمحبة الدين بل هو ايقاف مثقفي عصره على جوهر الدين الخالص الذي لايتجلى لأي كان (شلاير ماخر ، ٢٠١٧ ، ص ٥٧) فهو يخاطبهم قائلاً : (لاريب أنني لايمكن أن آمل أو أطمح الآن لجعل قلوبكم تتهاون محبة بالدين ، الذي أريد أستثارة وعيكم به ، ربما أن أجعلكم على أقل تقدير ، تتفقون معي على تشكيل جوهره السماوي (شلاير ماخر، ٢٠١٧ ، ص ٥٨)

طالما أن الدين سوء فهم بالنسبة للمثقفين من عصره وهذا راجع لفساد نظرتهم عنه، لكن مايريده شلايرماخر هو أن يفهموا أن الدين ليس دين قشور بل هو دين شعور جوهرى يختلف عما ينظرون له: (ما أتوق إليه، هو أن أقدم لكم الدين بشكل تقريبي قابل للإدراك، لكي تتمكنوا من قبوله والتلاحم معه كتجربه حياتية لها مظانها وحركتها وأسلوبها، ولاتتردوا عن الهتاف بأنكم قد أيقنتم أبعاده ولمستوها في حياتكم هنا وهناك) (شلايرماخر، ٢٠١٧، ص ٥٨)

رغم أنه، لا يمكن كشف وفهم هذا الدين إلا عن طريق الشعور أي التجربة في أعماق الإنسان، فالدين هو (التجربة الفورية المثقلة بالوجود والأفعال الكونية، ولا علاقة للدين باكتشاف العلل أو المقاصد، أو الاستنتاج والاشتقاق، على أن هذا لا ينفي كونه يلتقي والطبيعة الشاملة، الأكثر تردداً في الدين) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٧٤) في الحقيقة أن دفاع شلايرماخر هنا ليس أن فهمه للدين لا يتوافق مع عصر التنوير، بل ليوضح للمثقفين في عصره أن الدين الذي يحاول توضيحه لا علاقة له بالبحث الفلسفي الذي يثبت وجود المطلق، بل هو ما يشعرنا بوجود وعلاقة مع المطلق، ولكون المطلق مختلف عنا ونشعر به بداخلنا فلا داعي للرجوع إلى الأدلة الفلسفية لأثباته) محمد، ٢٠١٧، ص ٧) لذا يعرف الدين بقوله: (

هو الأحساس بالتواصل مع المطلق، والطعم اللانهائي للمعنى، ولا يتحقق فهم الدين من دون كمال هذه الدائرة) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٧٠)، أي وجود قوة أعظم ينقاد لها الإنسان (الدين رهبة وقداسة، حقل لانهائي للعقل، ينشأ بالضرورة من داخل كل روح طاهره، وينتمي إلى منطقة غامضة غريبة من مناطق النفس البشرية) (شلايرماخر، ٢٠١٧، ص ٥٣) لذلك فالتجربة الدينية أخذت صورة من صور الظهور و التجلي، من وجهه نظره تعد ضرباً من الوعي الذاتي (حيث جوهر ما ينهض به الدين هو معالجة سؤال الوجود، وعلاقة الإنسان بروح الكون، الذي يأخذه لمسارات فهم الإلهوية بأسلوب آخر) (شلايرماخر، ٢٠١٧، ص ٦٠)، ونلمس هنا تجربة صوفية بإدراك الحقائق عن طريق التجربة الروحية . وعلى هذا النحو يتوضح المفهوم عنده ليس فكراً ولا معرفة، وإنما شعور تجاه المطلق، وهذا الشعور موجود داخل الوعي الإنساني، بوصفه عنصر مشترك لجميع الإنسانية وفي كل الديانات (قاسم، ٢٠١٧، ص ٤٠) من الواضح أن شلايرماخر يحدد أن جوهر الدين مسؤول عن كمال دائرة الإنسان وهو يتضمن أخلاقية تميزه عن غيره بشكل حقيقي (أوتو، ٢٠١٢، ص ٢٧٦)، وعليه نلاحظ أن للدين أساس وأساسه هو التجربة الدينية، وجميع الشعائر هي فيض من هذه

التجربة، بل أن لكل فرد تجربة وطريقة خاصة به، وبهذا يتبين أن الشعائر والتعاليم الدينية أمر خاص بكل فرد فهي ذاتية (اعريوه، ٢٠١٩، ص ١).

وطالما يبين شلايرماخر أن الدين تجربة فردية ذاتية ولا تستطع بإدراكاتنا أن نحيط بالكون، واللامتناهي هو الكون بأسره، فهذا يكون عن طريق الحدس، والحدس دون الشعور والذوق ليعني شيئاً، ولذا فإن الشعور دون الحدس لاشيء (انقرو، ٢٠٠٧، ص ٩١) وما يقصده بالحدس هنا ليس أي صورة بل هو الذي يوعي الإنسان بالوجود اللامتناهي أو استشعار المطلق أي أن (جوهر الدين يقوم على دعم كل اشكال الحدس اللامتناهي) (زين الدين، ٢٠٢٣، ص ١٨) ومادون هذا الحدس لاصلة له بالدين، الدين بهذا المعنى هو (كل هذه المشاعر وغيرها، مما يظهر فيه ارتباط الأنا بمحيطها الخارجي حاضنة العقل الحي) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ١٠٥)،

لقد شهد مفهوم الدين في عصره انحرافاً عن معناه الحقيقي عند المثقفين، وماهيته الحقيقية، بعدما أخضع لتفسيرات عقلانية، ومن جانب آخر ربطو الدين بالميتافيزيقا والأخلاق، وهذا فهم مغلوط بحق الدين وسوء فهم (فلا يمكن لأحد أنكار ما سيتوارى عن النظم الأخلاقية أمام ما يجتاحها من أساليب دخيلة

رسخت غرس قيم أخرى ذات صبغة عالية من الغرابة) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٥٢)، بحيث يصبح الدين مفتقراً لغرابة المطلق واللامتناهي والتي هي صلب جوهر الدين. وبحسب شلايرماخر أن هؤلاء عندما ربطوا الدين بالأخلاق والميتافيزيقا، أدى إلى تسرب الكثير من هذه الأفكار داخل الدين وهو بدوره يخفي جوهر الدين في مضامين حقول الأخلاق والميتافيزيقا. وهو بطريقة ما كان لها لتحصل (أنكم تمارسون لعبة فارغة مع مسائل لا تنتمي إحداها للآخرى، ولا يكتسب بعضها شيئاً من بعض، وإن ما أستبقتم على وجوده دوماً هو الميتافيزيقا والأخلاق، ولم تنبروا لبناء فهم لأي شيء سواهما، هذا الخليط من الآراء حول الكينونة الكبرى أو الكون، وما يقدمه لحياة الإنسان من مرجعيات ضرورية، هو ما أطلقتم عليه أسم الدين) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٦٢-٦٣).

أن شلايرماخر يحاول أخبار محتقري الدين بأن علمنا الحاضر لا يجد فيه المرء القدرة على توثيق مفاهيم الروح حتى لو كانت في شكل الحواس أو العقل أو الأخلاق أو الدين، فهو يتأمل أن لا يعتبروا خطابه احتقاراً للحاضر، وإنما تحذيرهم من خلط الدين الذي هو عماده المشاعر والأحاسيس (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٥٩-٦٠)، وهو يعلم أنهم لا يتوافقون مع خطابه، فهم على خطأ حينما جعلوا الدين ضمن الميتافيزيقا

لذلك خاطبهم : (عليكم أن تعترفوا بالدين بوصفه النقطة الأعلى في هرم الفلسفة، وما الميتافيزيقا والأخلاق إلا موضوعات جانبية تابعة له، دائرة في فلكه، لأن الشعور بالمعنى الجوهرى للدين لابد أن يشتمل ضمناً على ظلال هذين المفهومين المتقابلين، ومن هنا فأنهما "الميتافيزيقا والأخلاق" واقعان بالضرورة في محيطه وتوابعه) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٦٤). ويبدو أن هذا ما جعله يرفض الدين بصيغته الكانطية رفض قاطع، لأن هذه الصيغة تسمح للتوافق بين الدين والأخلاق.

في الحقيقة، عمل شلاير ماخر برؤيته هذه إلى التأثير بالنزعة الرومانسية، التي فسرت الدين بالشعور والوجدان، ولهذا أدخل هذا البعد إلى الدين، بحيث أصبح الدين ينتمي إلى الوجدان الداخلي لا المعرفة، ولا يمكن أن يخضع للأنساق الصارمة، فهو بحسب شلاير ماخر يفهم من خلال الشعور والاحساس بالمطلق، هو تجربة يعيشها الإنسان في أعماقه، وكما حرر أيضاً الدين من النسق الوضعي أو البعد الوظيفي الذي جعل الدين مجرد أداة، فهو ارتقى بالدين وتنقيته ليعيد له طابعه الروحي والإنساني حتى أصبح تجربة تعاش بالشعور. (زندكولر، ٢٠١٢، ص ٧٧٢ مج ٢).

والأخلاق، لكون نظرتهم كانت مقيدة وفق الأطر العقلية والأحكام الأخلاقية، ولم يدركوا أن الدين تجربة حية، فهم كانوا يظنون أن الدين مملوء بالسلبيات غير الأخلاقية، لذلك يحتقرونه، غافلين عن الطبيعة الحية له.

وعلى أساس هذا يميز شلاير ماخر بين هذه الجوانب والدين رغم اشتراكهم في الاهتمام بالإنسان والكون، أن مجال الدين يعبر عن شعور الإنسان وعلاقته بالكون والمطلق لأنه يكشف حاجته إلى المطلق، فأن هذه التجربة تصبح انعكاس لعلاقة تمجد البعد الإنساني والوجداني وليست عبارة عن أفكار وقيم (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٦٠).

مما سبق يتبين أن لاهوت شلاير ماخر يتأسس على الشعور بالافتقار المطلق للذات، ويرى أن الحقيقة المحضة في فهم العالم وتفسيره لاتبني وفق المفاهيم الفلسفية المجردة، بل علينا أن نشعر أن فاعليتنا ترتبط بفاعلية سائر الكون الحي وهي ما يقود إلى الدين، فالشعور بالإله هو قائم على الشعور بأرتباط أكبر ليس في نطاق قدرتنا (بوي، ٢٠١٥، ص ٣١).

وعليه لامناص من تجاوز ما بناه عصره والفهم الخاطئ وتاريخية الدين، فيبدو أنه عازم على تخلص الدين مما لحق به من عصر التنوير، وهذا ما يتوضح في أنهم أهتموا بديانة القشور بعيداً عن جوهر الدين،

يبدو أن شلايرماخر عندما جعل الشعور جوهر الدين، فإنه أنتقد من قبل الفلاسفة، ولنبدأ أولاً: ينتقد هيجل شلاير ماخر في حصر الدين وفق الشعور كونه يجعل الوعي الديني ناقص في حين أن الدين يبلغ كماله في الفكر العقلي الذي يدرك المطلق .

رفض هيجل وضع الدين على رف المشاعر، موضحاً أن الدين أكثر أهمية من ذلك، لأنه درجة في معرفة المطلق، والفلسفة والدين موضوع واحد لكنهما يتعرفان على المطلق بطريق مختلف، أما الشعور مركب أساس في الدين لكنه ليس جوهره.

ومن جانب آخر ينقد فيورباخ شلايرماخر، لكنه لم يرفض فكرة الشعور عنده بل لاحظ أن شلاير ماخر اقترب من الدين الحقيقي، عندما نقل الدين من العقيدة إلى الشعور، لكنه بقي حبيس الفكر اللاهوتي، أن فيورباخ جعل الشعور هو الجوهر الإنساني في الدين، وهو ماينتقده هيجل ويختلف فيورباخ مع هيجل في اللاهوت الشعوري: (لا ألوم شلاير ماخر لأنه جعل الدين قضية شعورية، بل ألومه لانه لم يستطع بسبب تمييزه اللاهوتي، التوصل... إلى استخلاص النتائج الحاسمة من وجهة نظره، ولم يملك الشجاعة ليرى ويعترف بأن الله ذاته ليس موضوعياً، شيئاً آخر سوى جوهر الشعور، إذا كان الشعور هو، ذاتياً القضية الأساسية للدين بهذا المعنى، ليست معارضتي كبيرة

وقد ذكر كوبلستون في تقديمه لشلايرماخر : أن نظريته لفلسفة الدين كانت من وجهة نظر الواعظ ورجل اللاهوت، على الرغم من أهتماماته الفلسفية بقوة، فقد أحتفظ بطابع تربيته الدينية، (كوبلستون، ٢٠١٦، ج ٧ ص ١٩٧).

هل الشعور كافٍ للدين .

كما توضح أن الشعور هو جوهر الدين والأساس الحقيقي، لكن يبدو أن شلاير ماخر لا يقصد بالشعور الأنفعالات ومايتعلق بها، بل الشعور بالاعتماد المطلق، أي الحالة التي يدرك بها الإنسان صلته بالمطلق، وهذا يعني الاعتراف بوجود قوة تمتاز عن هذا العالم، وتكشف للإنسان مدى محدوديته وقدرته، وأعمادة على قوة أسمى منه، والشعور اساس الدين لكون الإنسان لا يبدأ بالتفكير ولا بأخلاقيات في الدين بل ينطلق من أحساس داخلي بالمطلق، لذلك عدّ الشعور أسبق من العقل والأخلاق، وبهذا الرأي أن الدين من جنس الشعور وليس المعرفة، وحتى أن لغة الدين لغة تمنحنا الشعور وليس لغة معرفية، وعليه أن هذه الحقيقة لغرض وضوح علاقة الفرد بالعالم وبالمطلق (خسروبناه، ١٤٣٧ هـ، ص ١١٥) أي أن الدين يبدأ من تجربة حية، قبل الطقوس والتأمل .

ولنسأل هل الشعور كافٍ للدين؟

فهو إدراك داخلي فطري وبالصورة الفطرية والشعور تتكون التجربة الدينية، وإلى هذا التداخل بين الحدس والشعور يشير جان غريش في (العوسج الملتهب) إلى أن كل حدس مرتبط بطبيعته بشعور ما وما يميز الدين هو هذا الاتحاد الذي لا ينفصم، هذا التداخل الحميمي بين العاملين لكن لمن الغلبة هل للحدس أم للشعور، على ما يبدو أن شلايرماخر يستوحي العبارة وتحديد هذه الصيغة مقتبسة من فلسفة كانط بالقول: من غير الشعور الحدس فارغاً ومن غير الحدس يصير الشعور أعمى (غريش، ٢٠٢٠، ص ٢٠٠-٢٠١). لكن لنسأل مع منقدي شلايرماخر: هل أن الشعور

وحده كافٍ للتجربة الدينية وليكون الدين حقيقي؟ الشعور هو جوهر الدين وهذا لا يعني أن شلايرماخر اقتصر على الشعور بل هو أراد أن يوضح لثقفي عصره أن التجربة الدينية تبدأ من الشعور الداخلي بالمطلق، لكون الإنسان يشعر بالمطلق شعور روحي قبل اعتقاده وتفكيره بالمطلق وفهم الأفكار التي تدل على وجوده، الشعور في المرتبة الأولى ثم يأتي دور العقل والأخلاق بعده، وهذا يعني أن شلايرماخر حول مسار الدين من العقل إلى التجربة الشعورية، لكن هذا مافتح الأشكال أمامه من قبل الفلاسفة لنقده، فإذا أكتفى بالشعور فهو يجعل الدين فردي مختلف من شخص لآخر، وإذا كان الدين قائم على الشعور

لشلايرماخر، فهو يخدمني في التأكيد العملي لإدعاءاتي المستخلصة من طبيعة الشعور، وإذا كان هيجل لم يتوغل في الجوهر المميز للدين، فلأنه لم يتوغل، لكونه مفكراً تأملياً مجرداً، في جوهر الشعور (لوفيت، ٢٠١٩، ص ١٢٤)

من الممكن أن نستنتج أن هناك علاقة بين الشعور الديني والعقيدة، فلا قيمة للعقيدة إذا كانت من دون الأحساس الديني أو تبقى حبيسة الأصول المعرفية، وبالعكس إذا كان الشعور الديني خالياً من المفهوم العقائدي فلا قيمة ومعنى له (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٨٩).

ويعبر شلاير ماخر عن هذا: (أن الجوهر الذي يقوم عليه فهمكم لهوية الدين ومركزيته، يجب ألا ينتمي لا للفكر ولا للمعالجة الفلسفية، وإنما يقترب من قيم الحدس والشعور، الحدس بوصفه علاقة فطرية ترتبط بالكون، وما له من مظاهر لا يمكن عقلنتها، والمعالجات الفلسفية تلتصق بنوع من المعرفة، يتلصص ويصغي لوعي العقل البشري بما يحيط به، حتى في طفولته المبكرة) (شلايرماخر، ٢٠١٧، ص ٦٨) يوضح النص أن الحدس والشعور مرتبط أحدهما بالآخر وما يود الفيلسوف توضيحه من خلال هذا الترابط، أن الحدس هو الوسيلة أو الطريقة التي يدرك بها الإنسان هذا الشعور بطريقة مباشرة دون دليل عقلي أو برهان،

يتمسك في فهم الدين بالعقل لنقض أدلة العقل، ولم يتمسك بالعلم لنقض النظريات العلمية، وإنما أخذ طريقاً ولغة تحاكي لغة الشعراء وتستوحي مخيلة الفنانين لأكتشاف جوهر الدين وتفسيره وفهمه (شلايرماخر، ٢٠١٧، ص ٦).

مما سبق نستنتج، أن تصور شلايرماخر منح الدين بعداً روحياً وإنسانياً، أي أن الشعور هو الجوهر الحقيقي للدين وماعده ليس إلا تجليات لاحقة لهذا الوعي الشعوري عند الإنسان، على الرغم من هذا يبقى مشروعه محاولة فلسفية لإحياء الدين وفق تجربة حية شعورية مستقلة من رهن النزعات العقلانية .

الغاء الدين أم أعاده صياغته

من خلال ماسبق نتوصل أن شلايرماخر لم يلغي الدين بل حاول أحيائه والدفاع عنه في عصر هيمنت فيه السلطة العقلانية، (وعيكم بالدين، ومزاممكم عنه، وماتدعون، خاطئ وبعيد عن الموضوعية، أذ جعلتموه منبعاً للأحقاد والضغائن، ووصتموه بمقاييس تبتعد عن اليقينية، ثم صيرتموه مصدراً للنزاع بين المجتمعات وإراقة الدماء) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٧٧)، أن المشكلة التي سادت لم تكن في الدين بل في الطريقة التي قدم بها عصر التنوير الدين بأنه عقائد منظمة جامدة أو أحكام أخلاقية أو سلطة كنسية وهكذا اختفى جوهر الدين الحقيقي، فلم يكن مشروعه نفي

الفردى فكيف يمكن الوصول الى حقائق تشترك فيما بينها الأفراد وهذا ما يضعف الدين ، من هذا الأطار تعرضت أفكاره إلى بعد نقدي كون الدين لا يحتاج إلى شعور فقط بل يحتاج إلى بعد معرفي وعقائدي لتنظيم الجوانب الدينية، أن شلايرماخر وأن كتب مؤلفه "عن الدين" بمشاعر الشاعر لكنه يعترف بموازاة تلك المشاعر بشيء من العقل، وهو القائل: (فالدين ليس بحاجة للاستدلالات المنطقية، ولكنه في الوقت ذاته لا يدعو لإقصاء المضامين العقلية) (شلايرماخر، ٢٠١٧، ص ٥٣)، أي هو في الوقت ذاته الذي يريد من الدين بالاستغناء عن العقل والمنطق ، لكنه من جانب آخر لا يضاد العقل ولا يدعو لاقصائه وأحتقاره، بل دور المنطق لتنظيم العقائد والعقل لفهم التجربة الدينية، فالدور هنا تكميلي لتوضيح التجربة الدينية، وعلى أساس هذا التنظير أراد تحرير الدين من الهيمنة العقلانية التي سادت عصره، وحبست الدين في براهين عقلية، وعليه يؤكد شلاير ماخر أن الدين سلاح ذو حدين (ما أجمل أن تتعرفوا على الدين من دون الحاجة على لاستفتاء العقل ومدونة الفلسفة، أن تتلمسوا مدى ارتباطه بالأفق الإنساني) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ١٩١).

وهذا أيضاً ما يوضحه الدكتور عبد الجبار الرفاعي بالقول في مقدمة كتاب شلايرماخر: ان شلايرماخر لم

الفهم وكرهيته للاستبداد، ذلك الذي يجمد كل ما لا يتفق معه، يحجره ظناً بأنه سيحافظ على وجوده، التعدد هو جوهر الدين وكنهه (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ١٩٨).

الخاتمة :

شلاير ماخر سعى إلى تقديم تصور للدين مغايراً للدين في فترة عصره، فهو دعا إلى تحرير الدين من هيمنة التصورات العقلية، فبعد ما كان الدين قائم على الأحكام الأخلاقية والعقائد، تأسس على الشعور والحدس المرتبط بالوعي الداخلي للإنسان ثم علاقته بالملطق، ومن هنا شلاير ماخر أعاد للدين هيئته في بعده الروحي والوجداني.

أظهر البحث أن مشروع شلاير ماخر الفلسفي هو محاولة لعملية نقل الدين من مجال الجدل اللاهوتي والطقوس المغلقة إلى التجربة الحية الشعورية، وهذا ما منح فلسفته الدينية مكانه وأهمية في الفكر الحديث ولاسيما الفكر اللاحق له، لاسيما الاتجاهات الوجودية والهرمنوطيقية .

أنضح أن الدين حسب شلاير ماخر لا يعترف بمنطق الثنائيات أو السببية، ولا يمكن أختراله في الطبيعة وجعلها تجلياً مباشراً للمطلق، جوهر الدين يكمن في الحدس المباشر والتأمل للمطلق، والمطلق يستغني عن

أو إلغاء الدين بل إعادة فهمه وتفسيره للمجتمع، فأعتبر كل العقائد وما نادى به العصر السابق مجرد تحولات لاحقة للدين ولم تكن أساس الدين، وهذا ما ركز عليه في كتابه (عن الدين) بأن هدفه الأسمى هو إعادة الصياغة والفهم المنطقي للدين هو يبتعد عن الجدل العقلي الذي لا يهدف إلى أحياء الدين وبهذا يقول (مهمتنا هنا هي ترسيخ معنى الدين وتخليصه مما التصق به) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٦٦)

وكما يذهب الدكتور عبد الجبار الرفاعي في تقديمه لكتاب شلاير ماخر: أنه لم يتمسك في فهم الدين بالعقل لنقض أدلة العقل، ولم يتمسك بالعلم لنقض نظريات العلم وإنما أستوحى لغة تحاكي لغة الشعراء وحتى تستوحى مخيلة الفنانين هذا لأكتشاف جوهر الدين (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ٦) يدعو شلاير ماخر إلى فهم الدين داخل الدين لأنه (في الدين وحده لا سواه ينظر المعلم المحترف والتلميذ المبتدئ إلى أفق واحد، لأن فهم الدين لا يقع خارجه) (شلاير ماخر، ٢٠١٧، ص ١٢٥).

أن مهمة الدين هي مناهضة الاستبداد الذي يفرض فهمه للحقيقة، يرسم طريقه الخاص للوصول إليها، ويخفي أي شكل للفهم لا يتطابق معها، ويذهب في هذا شلاير ماخر أن أخطر ما يهدد الدين هو احتكار الفهم وانحصاره في فهم واحد لأن (أهم ما في الدين تعدديته في

-أوتو، رودلف (٢٠١٢)، حول الدين: خطب لمنكره من المثقفين لشلايرماخر، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، السنة السادسة عشر، العدد ٥١-٥٢، بغداد.

-باومر، فرانكلين، ل (١٩٨٩) الفكر الأوروبي الحديث (الاتصال والتغيير في الأفكار) ج٣، ط١، ت: احمد حمدي محمود، الهيئة المصرية للكتاب، مصر.

-بوي، أندري (٢٠١٥) الفلسفة الألمانية (مقدمة قصيرة)، ت: محمد عبد الرحمن سلامة، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، مصر.

-خسروبناه، عبد الحسين (١٤٣٧ هـ) حقيقة التجربة الدينية، ت: محمد حسين الواسطي، مجلة الفكر المعاصر، عدد ٨، بيروت، جماد الآخرة.

-زندكولر، هنس (٢٠١٢)، مج٢، ت: ابو يعرب المرزوقي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت

-زين الدين، يوسف (٢٠٢٣) في جدلية المثقف والدين، مقالات فلسفية، مركز نماء للبحوث للدراسات، -https://nama-

center.com/static-pages/5 .

-شلايرماخر، فريدريك (٢٠١٧) ت اسامة الشحمان، ط١، دار التنوير، بيروت

كل تفسير عقلي أو سببي، ولذلك تعجز الطبيعة عن تفسير ذلك، لذا آي محاولة لتفسير الدين وفق الظواهر الطبيعية أو العقلية فهي تخفي ولا تعترف بحقيقة الدين الجوهرية، لأن الدين عند شلاير ماخر شعور داخلي يتجاوز حدود العقل واي تفسير مادي .

أن جوهر الدين يتمثل في كونه محاولة تأمل وحس المطلق اللانهائي، أي أن التجربة الروحية هي الحد الفاصل في كل تصور عن الدين، فبعد هذه العمليات يصبح الوعي وعيا بالذات ثم وعيا بالدين ثم وعيا بالمطلق، ومن ثم وعيه بالكون بأسره.

المصادر :

-أعريوه، محسن (٢٠١٩) فلسفة الدين كيف نظر اللاهوتي فريدريك شلايرماخر لها مجلة الكلمة عدد ١٤٢، فبراير.

-الخولي، يمنى طريف (٢٠١٧) الوجودية الدينية دراسة في فلسفة بول تيليش، مؤسسة هنداي .

-الشريف، احمد ابراهيم (٢٠١٩) مقال منشور عن كتاب "عن الدين" .. تجربة الفيلسوف فريدريك شلاير

ماخر ضد المنكرين عبر الرابط link

-انقرو، فتحي (٢٠٠٧) معرفة المعروف، تحولات التأويلية من شلايرماخر إلى دلتاي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب .

-طلبة ، منى(٢٠٠٦) الهرمنوطيقيا(المصطلح والمفهوم)
مجلة أوراق فلسفية ، عدد ١٠ ، بغداد.

-غريش، جان(٢٠٢٠) مج ١ ، ت محمد علي
مقلد،مراجعة مشير باسيل عون، ط ١ ، دار الكتاب
الجديد بيروت ، لبنان.

-قاسم ،علي حسين(٢٠١٧) ، المنهج النقدي
التأويلي في فلسفة اللاهوت عند شلايرماخر ، مجلة
حولية كلية الآداب- جامعة بني سويف-الجزائر .

-كوبلستون،فردريك (٢٠١٦) مج ٧ ، ت امام
عبدالفتاح امام ومحمود سيد،المركز القومي للترجمة
، القاهرة .

لوفيت ،

-محمد ، بشير جاسم،(٢٠١٧) الخطاب الديني عند
شلايرماخر، مجلة دراسات فلسفية، العدد ٥١ ،
بيروت.